توصيات وتطلعات مستقبلية

ريما كرامي عكاري(*)

عقدت الجلسة الختامية على طريقة «المقهى العالمي» (world Café) حيث وجهت إلى المجتمعين الأسئلة التالية:

١. ما هي الأفكار والملاحظات الهامة والأساليب والوسائل التعليمية التي اكتسبتموها من هذا المؤتمر والتي تأملون أن تسهم في تطوير عملكم؟ وكيف ستتمكنون من الاستفادة منها؟

٢. ما هي الفرص والوسائل الممكنة لتشبيك العاملين في تدريس مادة التاريخ لضمان استمرار التواصل بينهم؟

وناقش الحضور أفكاراً ومقترحات عدة في مجموعاتهم ثم تمت عملية «الحصاد» حيث عرضت كل مجموعة حصيلة مناقشتها. في ما يلي ملخص الأفكار التي اتفق الحضور عليها باعتبارها أساسية في عملية تطوير تعليم وتعلم مادة التاريخ.

١. تطوير وتحديث منهاج واستراتيجيات تدريس مادة التاريخ

أكد المؤتمرون على أهمية تحديث أهداف تدريس مادة التاريخ وتوسيع إطارها بحيث تتجاوز الأهداف المعرفية إلى أن تشمل أهدافاً وجدانية وقيمية. وأشاروا في هذا السياق إلى ضرورة ربط موضوع التاريخ بموضوع المواطنة، وتقبل الآخر والتربية اللاعنفية كمثال لهذا التوسع. واقترحوا ضرورة إغناء منهاج التاريخ بموضوعات ومناقشات تتجاوز المادة المقررة في الكتاب المدرسي. كما أكدوا على ضرورة تحييد المادة عن العقائدية والمحافظة على الإطار العلمي والموضوعي في ما يتم تدريسه.

(*) أستاذة في الجامعة الأميركية في بيروت. البريد الالكتروني: ra10@aub.edu.lb.

٢. ضرورة إعادة النظر في مناهج التاريخ بناء على دراسة خاصة يساهم فيها أساتذة المادة ويبدون أفكارهم واقتراحاتهم حول كيفية تعديلها

كذلك أكّد المجتمعون على ضرورة إدخال أساليب تعلمية تركز على المتعلم كعنصر فاعل وتحثه على البحث والتقصي، واعتماد الموضوعية في عرض أفكاره ودعمها بشواهد وبطريقة تربط السبب والنتيجة. وفي هذا المجال، أجمع الحضور على أهمية التجربة التي عرضتها د. كريستين كاونسل في المؤتمر التي تجسّد هذا الأسلوب بإعطاء الطالب دوراً فاعلاً ليشارك في الدرس ويتعاطى مع المعلومات بموضوعية وكيفية استخدام الأدلة لاعتماد الحقائق التاريخية، والقبول بوجود عدة وجهات نظر حول حدث محدد، وتبني هذا الأسلوب للتعامل مع الروايات التاريخية المتعددة.

وقدم المجتمعون مقترحات إضافية حول تنويع طرائق تدريس المادة وهي:

- عرض الأحداث التاريخية من خلال طرح قضايا اقتصادية ومتابعة حركة تطورها في المجتمع.
- اعتماد المستندات والوثائق لتدريس المادة التاريخية وضرورة تأمين مستندات ومراجع علمية واضحة وموضوعية يمكن الاعتماد عليها في تدريس مادة التاريخ.
- أهمية إثارة الإشكالية في تعليم التاريخ وطرائق تدريسها وإعداد التلميذ لمقاربة الاختلاف بين المراجع التاريخية.
- اعتماد وتوفير وسائل الإيضاح لإعطاء الدرس وأهمية توفيرها لكل أساتذة المادة خصوصاً في التعليم الرسمي.
- تقديم الدروس بأسلوب مشوق وحديث يحفز الطالب ويخدم الأهداف.

وأكّد الحضور أن تطوير مضمون المنهج وأساليب تدريسه لا يكفي إذا لم يقترن بعملية تحديث للأساليب المتبعة في تقديم المادة.

وعلى ذلك اقترحوا ما يلي:

- ضرورة اعتماد جدول للتقويم ذي معايير محددة يعطى للطالب قبل أن يبدأ بالدرس وبعملية التعلم كطريقة لتحديد الأهداف التعلمية والمكتسبات التي تسعى إلى تحقيقها من العملية التعليمية، وأن تكون هذه المعايير دقيقة وأن يتم الالتزام بها.
- التنبه إلى خطر تضارب الأساليب التعلمية الحديثة مع الطرائق المعتمدة رسمياً في تقديم التلاميذ للامتحانات الرسمية وضرورة معالجة هذا الوضع.
- وأكّد الحضور أن العملية التعليمية بحاجة إلى وسائل دعم تتجاوز غرفة الصف لذلك دعوا إلى ضرورة الاهتمام بإغناء الموارد المتوافرة لأساتذة المادة. في مقدمة هذه

الوسائل، اقترح الحضور وضع دليل للوثائق التاريخية التي يمكن أن تستخدم في تدريس التاريخ وضرورة إيجاد منهجية للتأكد من موضوعية هذه الوثائق قبل أن يتم وضعها في متناول الطلبة. ودعوا إلى توفيرها للجميع عن طريق وضعها على شبكة الإنترنت. واقترح المجتمعون كذلك فتح المكتبات والمتاحف والأماكن الأثرية مجاناً أمام طلاب المدارس كإسهام في تنشيط العملية التعليمية وإخراجها من إطارها التقليدي التلقيني. وكذلك دعوا إلى إنشاء مجلة متخصصة لمادة التاريخ.

واتفق المجتمعون كذلك على ضرورة وعي وجود تنوع كبير بوجهات النظر حول موضوع تدريس التاريخ والطرائق المعتمدة في تدريسه. وأكدوا على أهمية تقبل هذا التنوع في وجهات النظر، وفي حال أثار هذا التنوع إشكالية، أكدوا على أهمية معالجة هذه الإشكالية بأساليب موضوعية. واقترحوا أن التركيز على تطوير طرائق تعليم المادة من شأنه أن يخلق قاسماً مشتركاً بين الجميع نظراً لعدم حساسية الخلافات في هذا المجال بالمقارنة مع الخلاف حول موضوع المادة وأهدافها.

٣. توفير فرص التنمية المهنية لمعلمي مادة التاريخ

إتفق الحضور على ضرورة الاهتمام بعملية إعداد أساتذة مادة التاريخ وإطلاعهم على الأساليب والتقنيات الحديثة التي يمكن أن يعتمدوها في تدريس المادة. وفي هذا السياق اقترح المجتمعون ما يلي:

- الإطلاع على تجارب رائدة عالمية واكتساب أفكار جديدة على نسق التجربة التي عرضتها الدكتورة كريستين كاونسل واعتبروها مثالاً يحتذى من حيث كيفية إعداد معلمي التاريخ على اعتماد أسلوب تعليمي يركّز على إعطاء الطالب دوراً رئيسياً وفاعلاً في العملية التعلمية.

- تدريب المعلمين والانتباه إلى جودة التعليم المتوافر لهم في برامج إعداد المعلمين في الجامعات وكليات التربية وضرورة بث الروح الوطنية كجزء من إعداد أساتذة تاريخ متمكنين وجيدين (يجب أن يكونوا قدوة للمواطنين). وقد ذكر الحضور أن ما نعاني منه الآن في لبنان هو أننا نخرج أساتذة غير كفوئين وهم بدورهم يخرّجون طلاباً غير كفوئين. وقد ذكر الحضور أيضاً أن ما نشهده هو مجتمع ينهار. وهناك ضرورة إلى الإصلاح في المناهج والطرائق وضرورة أن يشمل الإصلاح مراكز إعداد المعلمين بالأساليب الحديثة. وأكدوا على ضرورة تنمية التقنيات عند الأساتذة لاسيما الذين يعملون في المدارس الرسمية.

– تفعيل دور المدرسين لجهة أخذ رأيهم في موضوعات التدريب والاستماع إلى تجاربهم والبناء عليها عوضاً عن التركيز على إعطاء المحاضرات النظرية.

– تشجيع تبادل التجارب بين مدرسي التاريخ في لبنان والبلدان الأخرى والاستفادة من الخبرات والتجارب المتنوعة.

– عقد مؤتمرات حول موضوع دراسة التاريخ وتكرار تجربة هذا المؤتمر من حيث دعوة أساتذة التاريخ للحضور والمشاركة الفعالة.

– تحسين الوضع المادي والمعنوي لأساتذة التاريخ وإخضاعهم لامتحان قبل الالتحاق بالمهنة وإلزامهم متابعة التدريب أثناء ممارستهم المهنية من خلال امتحانات دورية ودورات تدريبية تأهيلية تطلعهم على التقنيات الحديثة في أساليب التعليم بشكل مستمر، بما فيها تنمية مهارة استخدام التكنولوجيا لما يصب في خدمة تعليم مادة التاريخ.

– مراقبة أداء أساتذة التاريخ من قبل الوزارة بشكل موضوعي ومنتظم على أن تتم هذه الرقابة وفق مرتكزات ومعايير واضحة تضمن موضوعية عملية التقييم. وأشار الحضور إلى ضرورة التشديد على موضوعية أستاذ التاريخ كمعيار أساسي يعتمد في التقييم حتى نتجنب حالات يقوم فيها الأستاذ بنقل الإيديولوجيات الشخصية لطلبته عوضاً عن إعطائهم التاريخ كعلم. وشددوا على ضرورة أن يتم تحديد المعايير وتبنيها من الدولة أو الوزارة والتزام كل المدارس باتباعها بغض النظر عن كون هذه المدارس خاصة أو رسمية كطريقة لتوحيد الرؤية في ما يتم تدريسه في مادة التاريخ.

– التركيز ليس فقط على تحسين طرق التدريس في المدارس ولكن أيضاً على كيفية تدريس مادة التاريخ في الجامعات وكيف يقوم الأستاذ الجامعي بتدريس مادته.

٤. فتح مجال التواصل الدائم بين جميع المعنيين بموضوع تدريس التاريخ

لكي يبقى الأثر الذي تركه هذا المؤتمر ينبغي تشجيع وتمكين وتقوية الشعور عند الأساتذة أنهم معنيون بهذا الأمر وأن لديهم دوراً فاعلاً يجب أن يلعبوه دائماً، لذلك يجب إيجاد مجال للتواصل بين الأساتذة الذين حضروا هذا المؤتمر والذين لم يحضروه عبر:

– عقد مؤتمرات دورية والتفاعل مع غير اللبنانيين والتعرف إلى تجارب الشعوب الأخرى في تعلم وتعليم مادة التاريخ. هذا يوفّر لهم الفرصة ليصبحوا على بينة من الفارق الكبير بين الطريقة التي يتم وفقها تدريس التاريخ في لبنان وعالمياً. وقد دعا الحضور إلى تكرار تجربة المؤتمر لمتابعة النقاش حول مادة التاريخ مع تعميم الدعوات

بشكل أوسع ومشاركة الأساتذة في تنظيم وإعداد المؤتمرات. كما تمنوا على الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية عقد لقاء بين أساتذة التاريخ للبحث في إمكانية خطوات إجرائية نحو تحسين ظروفهم.

وقد أكّد الحضور على ضرورة وجود فرص منتظمة لاجتماعات ومؤتمرات تجمع واضعي السياسات التربوية وأساتذة الجامعات ومعلمي التاريخ وأن تكون هذه اللقاءات نقطة انطلاق لبدء حوار لوضع نهج مشترك لمعالجة الموضوعات التي تعتبر بالغة الأهمية لفهم التاريخ.

- ملاحقة التوجهات والأفكار التي طرحت خلال المؤتمر وتوثيقها واعتمادها ركيزة لمتابعة النقاش في مؤتمرات لاحقة. وقد أشار المجتمعون إلى أن الخطوة المقبلة تكون بأخذ أحد محاور هذا المؤتمر والتعمق فيه والانطلاق إلى مناقشة بقية المحاور بعمق أكبر، فيكون هذا المؤتمر بداية الطريق لإنشاء حوار مستمر خصوصاً بين الذين شاركوا في المؤتمر.

- النظر في تأسيس جمعية (أو هيئة) لمعلمي التاريخ على غرار ما تم في قبرص، وتشجيع المدرسين الذين شاركوا في هذا المؤتمر أن يبدؤوا العمل على ذلك من خلال لقاء بعضهم البعض وتبادل الزيارات فيكون تبادل التجارب والأفكار نقطة بداية لإنهاء حالة التشرذم.

- إيجاد نوع من مرجعية علمية ثابتة وواضحة توثق المراجع والمعلومات المتوافرة وتضعها في متناول الأساتذة.

- إنشاء موقع إلكتروني لمدرسي مادة التاريخ واعتماده كوسيلة للتواصل بخصوص النشاطات التي تهم الأساتذة كالإعلان عن ورش العمل والمؤتمرات والندوات. وتم اقتراح بدء العمل على school net وإيجاد طريقة لوضع العناوين الإلكترونية للمعلمين الراغبين في التواصل. هذا إضافة إلى اقتراح إنشاء (Blog) على الإنترنت لتبادل الاستراتيجيات والوسائل التعليمية ولعرض التجارب الناجحة التي قام بها أساتذة التاريخ فعلياً في غرفة الصف.

- إشراك الطلاب وسماع أصواتهم وآرائهم في العملية التعليمية وتجاربهم في تعلم مادة التاريخ كاستكمال لحلقة الحوار بين المعنيين بهذه المادة.

٥. في وضع منهاج موحد للتاريخ

اتفق الحضور بشكل شبه كامل على ضرورة التوصل إلى وضع منهاج مشترك

وكامل للتاريخ في لبنان والوصول إلى وضع كتاب تاريخ مشترك وارتأوا أنه من واجبهم كأساتذة تاريخ ومدرسين لمادة التاريخ أن يضغطوا في هذا الاتجاه لتجاوز الحيثيات التفصيلية والضغوطات السياسية التي تحول دون ذلك.

ودعوا إلى أن يكون هذا المنهج منهاجاً تربوياً كاملاً موحداً على أساس الموضوع والقضايا وليس على أساس الحدث والعهد والمرحلة، وعلى أساسه إعداد أساتذة مؤهلين لتدريس هذا المنهاج.

وقد لفت المجتمعون إلى ضرورة مشاركة الهيئات النقابية للأساتذة في موضوع وضع المناهج، وأن يكون لأساتذة التاريخ المشهود لهم بالخبرة دور فاعل للمشاركة مع الأساتذة الجامعيين والمؤرخين في تصميم المنهاج.

وقد دعا المؤتمرون إلى الاستفادة من تجربة الكتاب الألماني-الفرنسي واستقاء الدروس منها من حيث التركيز على نقاط الالتقاء بين العائلات الطائفية المختلفة في لبنان كطريقة للوصول إلى كتاب كامل ومشترك.

وأوصى الحاضرون بأن يكون التركيز على المنهجية التي ستتبع في إعداد كتاب التاريخ وتدريسه كخطوة أولى بدلاً من الدخول في جدل حول «المحتوى» كطريقة للانطلاق. واقترحوا البدء بالعمل على قضايا التاريخ في المناهج الدراسية المتفق عليها، والتركيز على اعتماد معايير علمية وتربوية في صياغة كتاب التاريخ ومقاربة مواضيعه.

واتفق الجميع على أهمية التركيز على الطالب وحق كل طالب في الحصول على نوعية مميزة من التعليم دون تفرقة بين مدرسة خاصة ومدرسة رسمية. وأشاروا إلى ضرورة وجود قيادة تربوية قادرة على قيادة عملية الإصلاح المؤسساتي والإداري الضرورية لكي يصبح بالإمكان متابعة توصيات هذا المؤتمر ووضعها حيز التنفيذ.

ودعوا إلى ضرورة تشكيل مجموعة ضغط مدنية تربوية مع الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية وبرعايتها للدفاع عن قضية تدريس التاريخ ولتحريك قرارات حكومية تتعلق بتغير حقيقي يناسب العصر بالنسبة لتدريس التاريخ وتقييمه في الامتحانات الرسمية.

خاتمة

اختتم رئيس الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية الجلسة بكلمة قال فيها «لقد كان هناك موقف إيجابي واتفاق بين الجميع على أهمية تعليم مادة التاريخ والحاجة إلى مواصلة الحوار والنقاش حول هذا الموضوع. كان هناك أيضاً الكثير من الطاقة الإيجابية

والحماس نتيجة هذا المؤتمر والفرص التي أتاحها لتبادل الأفكار. وإن الهواجس التي نحملها كأفراد هي هواجس مشتركة وأن وضع منهاج كامل لمادة التاريخ وإعداد المعلمين بأساليب حديثة هو ضرورة قصوى. الخطوة العملية اللازمة تحتاج إلى جهة تأخذ هذه المسؤولية على عاتقها. ولكننا مازلنا بحاجة إلى أن نسأل أنفسنا من سيتحمل المسؤولية الحقيقية؟. ونحن كهيئة ندرك أن نهاية هذا المؤتمر ليس اليوم. سندرس هذه التوصيات التي زودتمونا بها بدقة ونحدد ماذا يمكن العمل بشأنها. نحن لدينا إمكانيات فكرية هامة ونحن مستعدون للعمل ولكن إمكانياتنا المادية محدودة وهذا قد يكون عائقاً. المهم أن الشرارة انطلقت وسنحاول أن نبقى على تواصل معكم من خلال الأفكار التي عرضت».